The University of Tehran Press

Arabic Language and Literature

Online ISSN: 2423-6187

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

Different semantic indexes in the eyes of Dick al-Jinn al-Hemsi A research based on examining psychological meanings and special linguistic capacities

Malek Abdi

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, Ilam University, Ilam, Iran. Email: m.abdi@ilam.ac.ir

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received February 27, 2023
Revised July 2, 2023
Accepted July 12, 2023
Published online 05 March 2024

Keywords:
Dick al-Jiin Al-Hemsi,
Ahl al-Bayt,
psychological meaning,
The poem,
specific semantic capacities.

ABSTRACT

Undoubtedly, examining the types of meaning indicates that there are different types of meaning according to different semantic theories, each of which points to a specific aspect of the meanings of words. Among them, we can refer to the primary, secondary, psychological and structural meanings and special linguistic capacities in the production of meaning. Among the poets of the Abbasid period, Dik al-Jan Homsi is one of those who has paid special attention to processing different meanings in his expression, as he has shown a special ability in expanding psychological meanings as well as metatextual and special meanings. One of his literary masterpieces is a long ode that he wrote in mourning for the Ahl al-Bayt and the bloodlust of the children of the Messenger of God, during which he raised very high meanings in explaining their position and suppressing their enemies. The results show that he benefited from psychological approaches and special linguistic abilities to show the exalted position of Ahl al-Bayt in front of the inferior position of their enemies, and in this way, he expressed both his sorrow and his sense of revenge well.

Cite this article: Abdi, M.(2024). Different semantic indexes in the eyes of Dick al-Jinn al-Hemsi A research based on examining psychological meanings and special linguistic capacities. *Arabic Language and Literature*. 20 (1), 21-38.
Doi: http//doi.org/10.22059/JAL-LQ.2023.355897.1321

© Malek Abdi
Publisher: University of Tehran Press.
DOI: http//doi.org/10.22059/JAL-LQ.2023.355897.1321

مجلة اللغة العربية وآدابها
موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir
جامعة طهران
الترقيم الدولي الموحد الإكتروني: ٦١٨٧-٢٤٢٣

تمثلات المعاني النفسية عند "ديك الجنّ الحمصي"
مقاربات دلالية في رائيته الشهيرة من منظور الآليات التأويلية

مالك العبدي

قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة إيلام ، إيلام ، إيران ، البريد الإلكتروني: m.abdi@ilam.ac.ir

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
محكمة

تاريخهای مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠٢/٢٧
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٠٧/٠٢
تأريخ القبول: ٢٠٢٣/٠٧/١٢
تأريخ النشر: ٢٠٢٤/٠٣/٠٥

الكلمات الرئيسة:
ديك الجن الحمصي ،
القصيدة الرائية ،
أهل البيت ،
المعنى النفسي ،
المعنى الإيحائي.

الملخص

هناك أنماط وتشعبّات عديدة للمعنى قد يتعرض لها الشاعر ويتوخاها في عمله الإبداعي بغرض الحصول على أرقى المناهج التخاطبية التي يتبنّاها في صياغته للكلام التأويلي. فقد يكون للمعنى -بحسب النحاة والدلاليين- دلالة مركزية ، كما يكون له بُعدٌ ثانوي عرضي بحسب الاستعمالات الواردة له ، وقد يكون له أبعاد نفسية وسياقية أو أسلوبية يتبعها الأديب في تعبيراته حيثما شاء أن يوفّر تناسقًا أكثر في أجزاء كلامه أو أراد إعمال رويةٍ أدقّ في التوفيق بين الجهات النطقية والمنطقية للمعنى. كما لا نتنكّر للأبعاد الإيحائية التي تتحصّل للمعنى من خلال القدرات الصرفية و المبتكرات الإيقاعية الحساسة التي يولّدها الكلام المنسوج أثناء مسيرة التواصل. وإن لديك الجنّ الباع الطويل في ابتناء هذه الجهات المتشعّبة للمعاني ، وهو يحرز قصب السبق في ميدان توظيف المعاني التنويعية من خلال الأنماط الدلالية التي يستدعيها الموقف التعبيري. فهو يبتني جهة نفسانية للفظ حين لا يسَعُهُ التعبير إلا عن طريق النظر في الأبعاد النفسانية للمفردات ، ونراه يعتمد اعتمادا كبيرا على اللمسات الإيحائية للصيغ الإفرادية حيثما زادت اللفظةُ على مخزونها الطبيعي شيئا من الشحنات التوليدية ذات التأثير البالغ على المتلقي. وهلمّ جرًا في سائر التمثلات السياقية والأسلوبية التي تتجلى عنده بامتياز. ونحن في هذه الدراسة -واعتمادا على المنهج النفسي-التحليلي نحاول إبراز هذه الميزات المعنوية الاستبدالية عنده بغرض الحصول على الغاية التوصيلية التي يبتغيها الشاعر لإعطاء كل كلمة حقَّها من النشاطات الدلالية التحويلية التي تستوفيها الألفاظ نظرا للمتغيرات التعبيرية التي تتعرّض لها خلال عملية التوصيل. والنتائج تظهر لنا أنّ الشاعر استعان بما توفّر عنده من إمكانيات اللغة والصرف والإيقاع والجهات التداولية التي أتاحتْها له الظروفُ المأساوية التي عاشها بالفعل جراء مواكبته للرزء الذي يتحدث عنه في تضاعيف قصيدته فشكلها تشكيلا علاماتيًّا واضحا ، وقِسْ على ذلك سائر المكانيزمات اللغوية (الإيحائية والنفسانية) التي سخّرها في كلامه للدلالة على أساسيّات المعاني التي ابتغاها في صورةٍ أبهى وأجلّ.

العنوان: العبدي ، مالك (٢٠٢٤). تمثلات المعاني النفسية عند "ديك الجنّ الحمصي" مقاربات دلالية في رائيته الشهيرة من منظور الآليات التأويلية. *مجلة اللغة العربية و آدابها* ، ٢٠ (١) ٢١-٣٨ .

DOI: http//doi.org/10.22059/JAL-LQ.2023.355897.1321

© مالك العبدي
الناشر: دار جامعة طهران للنشر.
DOI: http//doi.org/10.22059/JAL-LQ.2023.355897.1321

المقدمة

إن الحديث عن "ديك الجن" وشعره حديث يطول ويطغى ، نظرا لنقطة متعاكسة تتجلى في شخصيته الأدبية المتأرجحة ، إذ هو عكوف على اللهو والخلاعة متهالك على حب الملذات وابتغاء المتاع الحسي الذي يرصده دائما في جميع مكامن حياته حلًّا وترحالًا ، وهو في الوقت ذاته إنسان ثائر وشيعي قاهر في سبيل إعلاء كلمة أهل البيت ورفع رايتهم والانتصار لهم وتصوير معاناتهم الدؤوبة التي لاقوها في مسير رفع راية الإسلام وإرساء قواعده المتينة. فنراه يتشيع تشيعًا حسنا في ملّته واعتقاده محاولًا نشر فضائل آل البيت عليهم السلام ، ذاكرًا مثالب عدوهم الغاشم الذي لم يدّخر جهدا في سبيل تقريعهم والانزواء بهم قولا وعملا ، ويذيع بذلك سرًّا عظيما من سرائر معارفهم الحقّة التي يخترق بها مساحات الحدود النفسية إلى الأعماق. ولكنه لم يكتف بذلك في قوله دون الاستشهاد والاستعانة بما يُتاح له من إمكانيات تحويلية بارزة تجعله قادرا على تجسيم هذه المعاني بحيث تتواكب مع المغزى العاطفية والميزة النهضوية التي يمتاز بها الشاعر في رسم خططه الإبداعية الثائرة ، فها هو الشاعر المتشيّع الذي يطير بالنفس الاستشهادية نحو مسارب الانتقام بلفظٍ هدّام ، مستخدما في ذلك أبرز الأساليب اللغوية البناءة التي تتماشى مع العناصر النفسية والإيحائية المراد تصويرها.

فكان المنهج المعتمد في رسم هذا المسار هو المنهج النفسي-التحليلي الذي يتناول العمل الأدبي بكونه ميثاقا نفسانيّا بما يؤدي إلى معاملة العمل الأدبي معاملة واحدة بما له من اختلافات في حدود مستوياته. فهذا المنهج —دون المنهج الوصفي- التحليلي البحت الذي يُعتمد في مثل هذه الدراسات البنيوية- يولي اهتمامًا بالجانب الكيفيّ للعمل ويحاول تحديد عناصره الشعورية وغير الشعورية ، مبيّنًا الكامن من الذاتي في دائرة هذه العناصر بقصد التعرف على العلاقات النفسية بين موضوع التجربة الشعورية والتغييرات اللفظية ، حتى ينكشف للقارئ مدى الاهتمام الذي بذله الشاعر للحصول على منطلقات هذا المكانيزم التأويلي الصارم.

نبذة عن حياة الشاعر وأنماط تشيّعه

لقد كان ديك الجن في مرحلة شبابه «ينكبُّ انكبابًا مطلقا على اللذات من معاقرة الخمر ومطاردة الفتيات والنساء والغلمان ، وكان لا يعرف الحبّ الإنساني ، كما كان لا يفرّق بين ذكر أو أنثى أو فتاة أو امرأة جميلة كانت أو قبيحة» (الحجي ، ٢٠٠٤م: ٢٦). وكذلك كان عنده وقوف طويل جدا عند آل البيت -عليهم السلام- «فوعى حيواتهم وأخبارهم وصراعهم من أجل الخلافة ، وقد ترك مصائب آل البيت في قلبه جرحا نازفا لا تجف له دماء» (المصدر السابق: ٣٨). فكان شاعرا لديه شذوذ كبير ، ولكنه «لم يمنعه هذا الشذوذ من احتلال مكانته الرفيعة في عالم الأدب والفن ، وكنا إذا قرأنا ديوانه وجدنا فيه أجود ما يكون من الشعر مبنًى وأسلوبًا ، والذي فيه خفقانُ قلبه وتدفق عاطفته بوضوح» (الملوحي والدرويش ، د.ت: ٣). فإذا أراد أن يمدح كان خالصا في مدحته ، سواء أ جال في ميدان الحب العفيف أم كانت له صولة في رحاب الحب الجسدي الماجن ، فها هو يمثل بشعره عاطفته الحزينة التي لقيتْ قيحا وحزنا وانكسارا لدى تجرّعه لكأس مصائب أهل البيت ومعايشته لواقعهم المرير الذي عاشوه موتورين. والمتأمّل في شعره يراه «رسّامًا باللغة ، حيث يلوّن لوحته بالأصباغ المتعددة ، كما يستند في رسمه إلى الصور المرئية والمسموعة والمشمومة والمذوقة بأسرها» (بكور ، ٢٠٠٧م: ٩٣). وإن هذه الصور بأنماطها المختلفة وما يكون لعبد السلام من إبداع فيها كلها مقتبس من بطن الواقع الذي يراه ويعيشه أو يقاسيه ، ولا محيدَ له من أجندة الإدراكات الواقعية التي يلمسها فيبادر إلى رسمها وتشكيلها تشكيلا فنيا مطابقا للمشهد الملموس. فإذا اعتبرناه واقعيا في نظراته للأحداث والمشاهد وتصويرها فلنقل «إن هذا الواقع هو المصدر الذي يستمدّ منه المضمون ، ويبدو أثره واضحا في موضوع صوره التي تمتاح مضمونها من مجالات الحياة المعاشة ، ومؤثراتها النفسية والانفعالية المتباينة التي توجدها التجارب» (عز الدين ، ١٩٦٦م ، ١٢٩-١٢٨).

وكان إلى ذلك متبعا لأشعار الجاهليين وسِيرهم ، فكان يقرأ من أشعار الشنفرى والسُّلَيك ويصرح باسمهما في ديوانه ، كما كان معجبا بنفسه إعجابا شديدا تجاه بعض الجاهليين وفلسفتهم القائمة على التمرد والرفض ، حيث «كان يرى بعض شعراء الجاهلية أطفالا رُضّعًا أمامه إذا ما قيسوا به» (المصدر السابق: ص ٣٨). ولكن لم يكن الشاعر ليعمد إلى تلوين شعره

بأصباغ الجاهلية والانغماس في أطياف تشكيلاتهم الحسية المتبسطة فحسب ، بل كان له فوز وإبداع في فلق الازدهار الأدبي العباسي ، وكان في بحبوحة المسيرة الإبداعية التي تفجّرت أزمتها في طليعة هذا العصر بما فيها من إمكانيات التزويد بمعالم الفن والثقافة والتمدن والحضارة فيقتبس من صميمها ، وكان على ذلك «مُبدعًا مثقفًا ، ملمًّا بفنون عصره وعلومه ليتمكن من السير في زحمة حركات الإبداع والتجديد ، واستطاع بذلك أن يكون واحدا من شعراء عصره المثقفين المبدعين والمجدّدين» (الحجي ، ٢٠٠٤م: ٣٨).

أسئلة البحث

١- كيف امتاز بيان ديك الجن في قصيدته بأمارات المعنى النفسي وإيحاءاته التأويلية؟
٢- ما التشعّبات المعنوية التي أسهمتْ في تعزيز الدورة التواصلية بين الشاعر ومتلقّيه في هذه القصيدة بشكل ملحوظ؟
٣- كيف تميزتِ الأنماط الحداثية للمعنيين في تجسيد المفاهيم الولائية التي تطلّع إليها الشاعر؟

خلفية البحث

ظهرت هنالك في الساحات الأدبية والبحثية دراسات بشأن ديك الجن الحمصي حاولت كل منها أن تلم إلماما بجوانب من إبداعه الفني والمضموني -غالبا- من خلال شعره ، إلا أن معظم الكتب التاريخية والمجاميع الشعرية الأدبية القديمة والحديثة -وببالغ الأسف- أهملوه أو كادوا أن يهملوه ويخملوا ذكره من بين الشخصيات الأدبية المدروسة عندهم ، حتى إننا لا نجد له ذكرا في كتاب تاريخ الأدب العربي لـ "حنا الفاخوري" -وهو من أهمّ وأوثق مصادر تاريخ الأدب- ولا نجد له ذكرا في المجاني الحديثة للأب لويس شيخو ، ولا في الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف ولا ورد له ذكر في تاريخه للأدب العباسي إلا في صفحتين وبنظرة عجلى ، وقس على هذا كثيرا من المصادر التراثية والمستحدثة الأدبية التي تنكّرت له ولشعره ولإبداعه -ولا ندري لأي سبب- ولعله لكونه شيعيا متعصبا منتصرا لأولاد علي -عليهم السلام- حيث لا يسوغ لكثير من الدارسين أن يروّجوا لشعره ولا لمثل هذه البضاعة الأدبية الرصينة التي يعتدُّ بها اعتدادا جادًّا في تأصيل الإنجازات الأدبية التي حاولتْ إعلاء كلمة الحق والتشهير الممضّ لمن أراد أن يتنكر لحب هؤلاء. وليس بعبث أن نستمع لقول الدكتور مظهر الحجي الذي يعلّل أسباب هذا الخمول المتعمد بقوله: وفي ظني أن هناك عدة أسباب اجتمعت فكانت سببا في خمول ذكر ديك الجن وضياع شعره أو تضييعه: فانتماؤه إلى الحزب السياسي المعارض -حزب الشيعة- ومواقفه المتهتكة من المجتمع وقيمه الأخلاقية والدينية ، وجرأته في الجهر بمعتقداته وقيمه؛ وأيًّا كانت أسباب هذا الخمول أو الإخمال فنذكر ههنا بعض الإنجازات الأدبية التي تمّت بهذا الشأن على يدي الباحثين والمصنفين:

مقالة بعنوان "واكاوى درون‌مايه‌هاى مدح علوى در اشعار ناصر خسرو قبادیانی و دیك الجن حمصی" لحسين كلى وشهاب الدين كريمي مطبوعة في عام ١٣٩٧ بمجلة "پژوهش‌هاى تطبيقى زبان وادبيات ملل" في العدد ١١ ، حيث عالجا فيها أهم الغايات التي تطلع إليها الشاعران جراء مدحهما لأمير المؤمنين عليه السلام. وحصلنا على مقالة عنوانها "ديك الجن شاعر مظلوم أهل البيت" لحسن عبداللهي ، وهي منشورة عام ١٣٨٨ بمجلة "زبان وادبيات عربي" في جامعة فردوسي في العدد الأول ، حيث حاول المؤلف فيها أن تزيح غبار النسيان والخمول عن وجه هذا الشاعر الذي كان مصدر إلهام لكثير من الشعراء بعده ويبين مكانته الشعرية المرموقة بين طبقات الشعراء القدامى والمحدثين. وعثرنا على مقالة تحت عنوان "سيماى خلافت امام على (ع) در شعر ديك الجن حمصي ، وهي من ضمن المقالات المنشورة في العدد الثاني من مجلة الأدب العربي بجامعة طهران عام ١٣٩٢ ، بقلم محمد حسن فؤاديان ومرتضى قديمى ، إذ حاول فيها المؤلفان أن يقدما للمخاطب صورة واقعية لمعالم الخلافة عند أمير المؤمنين في بيان هذا الشاعر الشيعي. كما رأينا مقالة بقلم الدكتور مظهر الحجي عنوانها " ديوان ديك الجن ما بين الضياع والتضييع" وقد طبعها في العدد ٢٤ من مجلة التراث العربي عام ١٤٠٦ ، حيث بذل فيها جهدا كبيرا في إحياء شعر ديك الجن وتوثيق إسنادات مصادر ديوانه والعناية بتخريج أبياته ومطابقتها ، والبحث عن كون ديوانه مطبوعا طبعا متكاملا مرتبا مبوبا أم مخطوطا؟ وقد كتب الدكتور محمد شيخ الرئيس كرماني

مقالا عن ديك الجن الحمصي وحياته وشعره في موقع "راسخون" الإلكتروني ونشره عام ١٣٩٤ ، حيث تطرق إلى أهم مقومات شعره ومكونات شخصيته التي درب عليها خلال حياته الأدبية. والدكتور حسن فالح حسين بكور كتب مقالا بعنوان "فاعلية الصورة في البناء الشعري عند ديك الجن الحمصي" وقام بنشره عام ٢٠٠٧ في مجلة كلية الآداب بجامعة الزقازيق والعدد ٤٣ منها ، حيث بادر فيها إلى بيان أهم أجزاء الصورة الشعرية ومفاهيمها التأصيلية في التراث وعند المحدثين ، ليميل إلى بيان الوجوه الجمالية التي يحفل بها شعر ديك الجن في هذا المنحى التصويري ، وكان هذا المقال من روافد بحثنا الذي استعنّا بها في إرساء قواعده. وأخيرا فإنّ الدكتور سليم مجاعص ألّف كتابا بعنوان "ديك الجن الحمصي تهافت الرواة وشفافية النص" وأصدره عام ٢٠٠٠ بدار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع وهو يقع في نحو ١٣٤ صفحة ، وجاء ليقدم به التراث لشاعر مشرقي محررا من طبقات المفاهيم الجزئية والإسقاطات السطحية والتأويل المتبدل التي منعت جماليته وروعة تجديده من السطوع بحرية.

ولم نعد نعثر على كتاب أو مقال آخر يخص شأن ديك الجن ويتولى شرح كلماته أو يذكر له بعض جوانب الإبداع ، وبهذا يختلف مسار بحثنا عن الدراسات التي سبق ذكرها ، حيث إنها تخلو جميعا من محاولة التأصيل المبدئي لأنماط الشاعر المعنوية في أبيات قصيدته الخالدة على أساس التشعبات الدلالية التي ذكرتْها كتب المعنى ، وبناء على ذلك فإننا نسعى في هذه العجالة أن نميط اللثام عن بعض وجوه المعنى الذي يتجلى عنده نظرا للإمكانيات الدلالية التي هيأها له النصُ الإبداعي في فروعاتها المتنوعة.

مدخل إلى دراسة المعنى وقياساته

إذا أردنا أن نلمح الجذور الأساسية لانطباعات المعنى وتشعيباته التي ذكرتها المصادر اللسانية في تصانيفها فنرى فيها أطيافا مستجدة تنتمي كلها إلى ضرب من ضروب الافتنان المعنوي الذي يستند إلى ركائز النظريات الدلالية التي قدّمها الدلاليون العرب وغيرهم قديما وحديثا. فهناك عدة مناهج لدراسة المعنى واستكناه جذوره المفاهيمية التي يقصد من وراءها إلى إقناع المتلقي وإخضاعه لعملية الفهم والتواصل الذي يبتغيه الباثّ. فهناك «النظرية الإشارية (Refrential theory) التي طوّرها ريتشاردز وأوغدن في كتابهما المشهور (the Meaning of Meaning) ، والنظرية التصورية (Ideational theory) المتولدة على يدي الفيلسوف البريطاني جون لوك في القرن ١٧ والذي يبحث عن الإشارات الحساسة التي توحي بها الكلمات لتكون دلالة مباشرة على الأفكار التي تمثّل مغزاها ، وتُعتبر اللغة عندها أداة لتوصيل الأفكار» (مختار عمر ، ١٩٩٨م: ٥٧-٥٤). وهناك النظرية السلوكية (Behavioral theory) و «يعتمد أصحابها على الجانب القابل للملاحظة والمشاهدة علنًا ، وهي بهذا تخالف النظرية السابقة المرتكزة على الأفكار وطرائق توصيلها» (عبدالجليل ، ٢٠٠١م: ٨٦). وحتى من حيث النظر في مبادئ وأساسيات علم النفس التربوي والإرشادي نرى لهذه النظرية ظهورا وبروزا أكبر من حيث إنها تشكل ثورة على النظريات التقليدية في ميدان علم النفس وجاءت لتكون تكملةً لأنماط العلاج التي كانت تأخذ بعين الاعتبار أساليب العلاج الطبي في معرفة الأضرار الطبية وعلاجها ، فهي «تأخذ على عاتقها تبنّي دراسة الظواهر السلوكية دراسة تجريبية ، بدلا من الاعتماد على التنظير التجريدي ، فتعتمد في معظم أصولها على الخضوع لقوانين التعلّم ، والتعامل الحي مع السبوك ، والاستجابة للمثيرات البيئية والأفعال الناتجة منها لدى الإنسان واعتبار الدافعية أساسا لمقولة التعلم» (الطراونة ، ٢٠٠٩م: ٧٤-٧٩).

كما نجد نظرية السياق أو النظرية المسماة بالسياقية (Contextual Approach) عند زعماء مدرسة لندن وأنصارها من أمثال هاليدي وسينكلر وميتشل ، وكان كبيرهم Firth الذي عكف عكوفا على الجانب الاجتماعي للغة ، وحصل على يديه تطور هام فيما يخصّ «نظريته السياقية للمعنى ، ومعنى الكلمة عند أصحابها هو استعمالها في اللغة أو طريقة استعمالها» (مختار عمر ، ١٩٨٨م: ٦٩). ومنهم من يعتقد «بالدور الذي تؤديه اللفظة نظرا للسياق الذي تَرد فيه ويوليه اهتماما بالغا» (المصدر نفسه: ٦٩). إلى جانب نظرية الحقول الدلالية والنظرية التحليلية وبعض النظريات الأخرى ظهرت في ساحة الدراسات اللسانية للمعنى عند أصحابها المجدّدين.

وتبعا لهذه النظريات فقد ظهرت في ضوء كل منها ضروب وأنماط مستجدة للمعنى تتغير بتغير المدارك الإثارية والمفاهيمية التي تُتوخَّى من أصول هذه النظريات ، وعلينا أن نستنبط المعنى عند الشاعر على أساس كل من هذه الأفانين المعنوية المتشعبة من صميم النظريات التأسيسية. فإنّ هناك «المعنى الأساسي أو التصوري أو المفهومي (conceptual meaning) ، وهو البؤرة المركزية للمعنى الذي يحمله في أولى دلالاته وانتماءاته التصورية ، وهو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي» (مختار عمر ، ١٩٩٨م: ٣٨). وهناك «المعنى الإضافي أو الثانوي أو العرضي (secondary meaning) وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري كدلالة المرأة على الثرثرة وإجادة الطبخ مثلا» (فتلي ، ٢٠٢٠م: ٢٤١). والمعنى الأسلوبي وهو الذي «يتحدد به المعنى عن طريق الظروف الاجتماعية لمستعملها ودرجة العلاقة بين السامع والمتكلم أو رتبة اللغة المستخدمة أو المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها ك father و daddy ، فيستعمل كل منهما في ظروف اجتماعية أو ثقافية خاصة أو لدى أفراد معينين من طبقات اجتماعية خاصة ينتمون إليها رغم اتحاد اللفظتين في دلالتهما المركزية» (مختار عمر ، ١٩٩٨م: ٣٨).

وأما المعنى الإيحائي -والذي سنكون بصدده- فهو الذي يمتاز به كل لفظة من حيث الطاقات الإبداعية التي تختزنها من منظور التشكيلات الصرفية والإيقاعية الخاصة بها ، بما يجعل الكلمة ذات جلجلة ووقع وإيقاع وانتظام تقصر عن تأديته الصياغاتُ المألوفة للكلام. و «يقسم ستيفن أولمان هذه الطبقة من المعنى إلى ثلاثة أصناف توليدية تقع تحت تأثيرات الصوت والصرف والدلالة» (أولمان ، ١٩٨٨م: ٨٤-٨٣)؛ فيحصر ستيفن أولمان الدلالة الإيحائية في «ثلاثة جوانب هي التأثيرات الصوتية والصرفية وقد بحثتْ ضمن الدلالة الصوتية؛ والتأثيرات الدلالية وهي تتعلق بالمجاز ودورها في التأثير على المتلقي ، وتُعَدُّ الاستعارة عنده جزءا من المجاز ولها دلالاتها الإيحائية لأنها تُحدث كذلك نوعا من الدهشة والمفاجأة الممتعة» (عبدالعبود ، ٢٠٠٧م: ١٢٤)؛ كدلالة الخشخشة مثلا على صوت أوراق الخريف ودلالة ماء يموء على صوت القطة وهو يتطابق مع ما تولده القطط من أصوات أثناء موائهنّ ، أو دلالة الصيغة الصرفية المنحوتة «حوقل واسترجع» على الجملتين الطويلتين اللتين نعرفهما. فهذا هو الوقع الدلالي الكَلِمي الذي يكمن من خلال الميزة الصوتية أو الصرفية المنفردة التي يمتاز بها اللفظ لدى أي أديب أو شاعر ، وكلنا نعلم أنّ حرفة الشاعر أو صياغته الشعرية تقتضي «أن يكون هناك حقيقة وزيفٌ للشعر في آن واحد ، ليدمّر به الشاعر بنية التراكيب المألوفة التي صاغها» (الرباع ، ١٩٨٥م: ٢٩). وكذلك شأنُ شاعرنا المعني بالدراسة ، في تقويض أركان البنية المألوفة لتراكيبه وكَلِمه حيث يسعى إلى التوفيق بين اللفظ وما يأتي لها من معانٍ ممحّصة عن طريق هذه المكانيزمات الإيحائية التي تُتاح لها ، لأن وظيفة الشعر هي «أن يقطع الحبل الأصلي الذي يصل الدالّ بالفكرة كي يضع مكانه الانفعال ، ويحاصر نظام الدلالة القديم ليجعل من الممكن تشغيل النظام الجديد» (المصدر السابق: ٢٩). والمعنى النفسي هو «معنى فردي ذاتي ، لا يتميز بالعمومية ولا بالتداول بين الأفراد ، والمعنى النفسي عند بيار جيرو هو قضايا تجسّده إما قضية نفسية وإما منطقية وإما لسانية» (جيرو ، ١٩٩٢م: ١٧). ويضمّ إلى ذلك المعنى العاطفي والمعنى التنظيمي والمعنى المنعكس (reflected meaning) الذي يضعه أولمان ضمن التأثيرات الدلالية التي تقع في دائرة المعنى الإيحائي ، وهذه الطوائف المستحدثة من المعاني هي التي تحدث عنها بعض كتب الدلالة الآنفة الذكر على وجه التفصيل ، وذكرتْ لها أنواعا من الأمثلة والتصانيف (ينظر: مختار عمر ، ١٩٩٨م: ٤١-٣٩).

وأما الذي نبتغيه عند شاعرنا فهو الأنماط المستجدة التي تتبلور عنده من المعاني في قصيدة «ما أنتِ منّي ...» على ضوء المعطيات الميتاسبكية التي توحي بها مفرداته في إطار كل من المعاني النفسية والإيحائية التي تحدثنا عنها فيما مرّ ذكره ، لكي نقف وقوفا شاملا على أهم ما يتميز به شعر ديك الجن في نطاق هذه القصيدة من ملامح الإبداع الفني والدلالي الذي يزوّد به مخاطبيه من خلال تشعبات المعنى التي استعان بها أثناء طرح فكرته. إذ الكلام عنده دائر مدار أهل البيت وتشويه سمعة مناوئيهم والطلب بذحلهم والانتقام لهم والانتصار لمواقفهم الحقة المستنيرة التي تستّر عليها جماعة الأوغاد المعتصبين طوال التاريخ ، وكل هذه الدعوى العظيمة تقتضي أن يكون عنده موقف حاسم وبيان صارم ويمتاز بتراكيب كَلِمية صاعدة حتى يرفع بها شأن ممدوحيه المكرمين ويغضّ من شأن أعدائهم المبغضين الذين جحدوا حق خلافتهم ووصايتهم بعد أن استيقنتْها أنفسهم ظلما وعلوًّا. وهنا نستقصي جذور هذه العملية الإبداعية المتحمسة التي أدّت

إلى أن نميل عن الباطل ميلًا ونقرّ بالمصداقية والمشروعية التي انحازت بها كلمتهم العليا إلى حيث لا يعروه شكٌّ في أذهان الواعين حيثما اغترّتْهم أضاليل الممترين والمشكّكين في ساحة القدس الولائي الرصين.

تمثلات المعنى الإيحائي في القصيدة

التناسق التركيبي/الإيجازي ودوره في إفرازات المعنى

هناك أنماط تعبيرة مميزة لدى الشاعر في معرض حديثه عن الهمّ الذي أحاط به فجعله لا يستبين إلا الصراط الذي ينجرّ به إلى وتيرة الانتقام وتكريس الجهود التعبيرية على فكرة الانتقام بالعزوف عن كل ما هو يثنيه عن هذا المنهج المستنير الصامد ، فيبادر إلى الفكرة التنسيقية-الاختصارية للنصّ مباشرة على هواجس التفكير الاستفزازي الذي يجول في خاطره ، فيقول في ذلك بهَمٍّ واستنجاد:

ما أنتِ مني ولا ربعاكِ لي وطرُ الهمُّ أملكُ بي والشوقُ والفِكَرُ

هنا وفي مستهلّ قصيدته يخاطب الشاعر خليلته نافيا أمارات الحب عنها مُبعدًا إياها من نفسها ، نظرا لهمٍّ أو غمٍّ أو حُبٍّ شجي حلَّ محلًّا أرفع في قلبه ولذلك يعمد إلى طرد الحبيبة في الموقف الذي يأبى قلبُه أن يسكنها أحدٌ غير هؤلاء السادة الأجلّاء الكرام. والشاهد في قوله «ما أنت مني» وقوله «ربعاكِ لي وطرُ». وحقا هذا من أجلّ مفتتحات القول القصائدي في تاريخ الأدب حيث يبادر فيها ديك الجن إلى تجريد نفسه من مخالطات الهوى ومغامراته بأسهل وأرقى عبارة ممكنة ، وهذه العبارة "ما أنتِ مني" حلّتْ محل عبارات طويلة أخرى يمكن أين ينقلها إلينا الشاعر للدلالة على ثبوت هذه العقيدة الانفصامية بينها وبين عشيقته ، ولكنه أوحى إلى اللفظ أن يكون قليلا ودليلا حتى يجعل خِدنه راضخة لعقيدة الانعزال التي نواها الشاعر.

والذي يلحَظ كذلك في العبارة هو أن الشاعر خطّط لمسار جملته في غاية الإيحاء حيث بدأ -بعد أداة النفي- بضمير مخاطبته ونفى عنها أن يكون ذات صلةٍ بقلب الشاعر ، حيث لم يقل «ما أنا منكِ» بل بالعكس ، حتى يميت في مخيلة الحبيبة أقصى جذور التفكير الحناني المُقيت! لأنه لو قال هكذا —بتقديم ضمير التكلم على المخاطب لكان نفى عن نفسه عندئذ أن يكون على صلةٍ وثيقة بالمحبوب ، ولم تكن تلك العبارة لتفي بالغرض المنشود عند الشاعر ، بل أراد أن يجتث جذور الحبيبة من قلبه ويجعل بينها وبينه حاجزا حتى يظنَّ كأن لم يكن بينها وبينه مودةٌ قطُّ! بمعنى أني لستُ منفصلا عنك بل أنت يجب أن تكوني منقطعة عني وعن أمارات تشوُّقي. فيجرد جنس المحبوب من أكناف قلبه بواسطة من الجنسية. حتى إنّ معناه يمكن ههنا أن يكون «لابتداء الغاية وهو أحد معاني «من» المقررة في كتب النحو» (التميمي الشافعي ، ٢٠١٨م: ٤٨-٤٤). فيتأتى لـ «مِن» ههنا أن تكون جامعة لثلاثة معان في آن ، وهي التبعيض وابتداء الغاية وبيان الجنس ، بمعنى أنكِ منفصلة عني انفصالا حتى لا أراكِ بعضَ وجودي (للتبعيض) ، وأنكِ انعزلتِ مني وانتفى حبك في مسارب قلبي (لابتداء الغاية ، وأن معاني الحب تغيرت لدي ولا أكاد أشم رائحة الحب التي تكون من جنس المحبات التي أعشقها فليس ودادك من جنس مودتي وهكذا أريد أن نتدابر بل نتخالف (مقصودا به معنى الجنسية). وبهذا فقد أوحت العبارة كمًّا هائلا من المعاني الانعزالية التي صاغها الشاعر في دورةٍ بارادوكسيةٍ يتنافى فيها الحبُّ الصادر مع الهوى الوارد.

وفي قوله "ولا ربعاك لي وطرٌ" جاء بخبر المبتدأ مفردًا -والمبتدأ مثنى- وكان له أن يأتي بالخبر مثنى للتسوية بين جزأي الجملة من حث العدد فيقول «ولا ربعاك لي وطران»! فلم يفعل كذلك؛ لأن صيغة التثنية كانت تُميتُ شحنة التقليل والازدراء والتخسيس التي نواها الشاعر من خلال إفراد اللفظة والاستعانة بدلالة التنوين فيها ، حيث «إنّ من معاني التنوينِ التحقيرَ الذي يدلّ على انحطاط الشأن ودنوّ المرتبة وهو راجع للامتهان ودناءة القدر» (الدسوقي ، ٢٠١١م: ٦٣٦-٦٣٥)؛ فلو كان قائلا «ولا ربعاك لي وطران» كان قد زاد من دلالة اللفظ وقوّاه بزيادة «ان» التثنية وجرّده من التنوين فأزال عنه دلالته وجعل الحاجة متكثرة بتكثير صيغة المثنى ، ولكنه مال عن ذلك إلى الخروج باللفظ عن حيز المثنى لئلا يتوهم السامع أن حاجة الشاعر من عشيقته مازالت غير مقضية! فقال «وطرٌ» ليغضّ من شأن هذه الحاجة الفيزيائية الجسدية التي لم تعد تحلّ

عنده محلًّا أعظم وهي باتت على مشارف الانتهاء ، وأن حبًّا ميتافيزيقيا أسمى -وهو حب آل بيت الرسول- قد حلّ محلّه ، وأن هواجس حب المحبوبة لاتكاد تشغل حيزا من مساحات فكره.

هذا وأن العبارة بلفظ المفرد تكون أخصر منها بصيغة المثنى ، وهذا الاقتصاد في استخدام الأحرف يدلّ مباشرة على اختصار المفهوم بل تخسيس المعنى الجسدي الذي أراد الشاعر التنحي عنه. حيث إن «زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى» (سعيد حيدر ، ٢٠٢٠م: ٥٠٠) ، وكذلك «كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى ، فكذلك كثرة الألفاظ» (الزركشي ، ٢٠٠٦م ، ج٣: ٥٥). و قلة الألفاظ ههنا تدل على قلة الاهتمام بأمر المحبوبة ، وأن الشاعر بهذا التقليص اللغوي أراد أن يقول لحبيبته أن حبك لم يعد يعنيني ، وأني لا أكاد أعبأ بما يبدر منك من أمارات الحب المنزور. ولا شك أن هذا الإفراد يوحي بمعان أوفى مما كانت توحي به اللفظة المثناة صرفا أو إيقاعا.

توسيع المعنى الإيحائي عن طريق الإمكانيات المصدرية

وفي موضع آخر من مشواره الآلياتي التأويلي المبرمج يميل إلى الإمكانيات المصدرية التي أتاحتْها له اللغة التواصلية حتى يتخذها منصّة مناسبة للرقيّ بالمغزى المفاهيميّة وتوسيعها عبر الإيحاءات الاستدعائية التي يتيحها له المصدر دون الوصف الرتيب ، فيقول في ذلك:

قالوا لأنفسهم ياحبذا نَهَلٌ محمد وعلي بعده صَدَرٌ

وهذا من أوفى عبارات الحمصي إيحاءً دلاليا ، لِما في لفظتي "نهل وصدر" من معان لا تكاد توحي بهما استعمالات الصفة أو الاشتقاق أو الجمع. حيث إن الشاعر أورد فعل الورود في الماء والصدور عنه بلفظ المصدر وأحلّهما محلَّ المشتق ، وكلنا نعلم أنّ المصدر (واسم المصدر) محرّرٌ من قيود التصريف الزمني والصِّيغي والاشتقاقي ، بمعنى أنه مستعمل لجميع الصيغ بلفظة واحدة ولا يتأثر بما تتأثر بها المشتقات من لزوم المطابقة والاتباع لما قبلها من حيث الزمان والصيغة والعدد. كقوله تعالى ﴿إنما المشركون نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨)؛ بخلاف نَجِسون أو ينجسون أو سينجسون أو نَجِسوا باستعمالاته المختلفة في الأزمنة والحالات الاشتقاقية المختلفة. فإقامة المصدر مُقام الوصف أو الفعل يحتوي على جميع ما تُفيده الأفعال والأوصاف مِن معان ، ويكسر كلّ القيود الزمنية والصرفية التي تخضع لها الأوصاف والأفعال ، وبذلك يتخطى المصدر مساحات التقييد التصريفي والتوقيتي مطلقا ، منفتحا على فضاءات دلالية رحبة لا تتحدد بقيودات الأنماط الصرفية التي تخضع لها الكلمات. يقول الدكتور نهر عن قوة المصدر إنه «حركة ممتدّة على الأزمنة جميعها ، وهذا الامتداد هو الذي يجعل الموصوف بالمصدر كأنّه مخلوق من ذلك الفعل ، فهو يقوم به ، ويعتاده ، ويلازمه في أحواله كلّها. زد على ذلك أنّ الوصف بالمصدر يتساوى فيه الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث بخلاف الوصف بالمشتق» (نهر ، ٢٠٠٧م: ٩٦).

وهنا لم يرد الشاعر أن يضيق نطاق الصدور والورود بمضايق الأفعال والأوصاف ، لأنه لو فعل ذلك لاضطر إلى تحديد صيغته الصرفية أو الزمنية بالتطابق مع ما يقتضيه السياق التخاطبي من أفراد أو أزمنة متغايرة. فلم يقل «ياحبذا منهلٌ» أو «يا حبذا ناهلون» أو «يا حبذا الناهل» أو «يا حبذا من ينهلون أو سينهلون ويصدرون أو صادرون» أو ...الخ؛ فاكتفى بلفظة المصدر فوظّفها في سياقه نظرا لكون المصدر ذا إيحاءٍ منطلقٍ شامل في الدلالة على كلّ ما تقع تحت دائرة الاشتقاق والتزامن من دلالات غير محددة. والمعنى أنّ كلّ الوجود نهلٌ وانتهالٌ وشوق وتسيارٌ نحو الذين هم الصدور المطلق وبيدهم الغادي والرائح والسانح والبارح ، ولا نرد في الوجود ماءً إلا وصدرنا عنه صدورا مرضيا عند هؤلاء الجديرين بإذن الورود وإيذان الصدور ، وحقا لا ينبغي هذا المعنى إلا بمؤازرة المعنى المتوارد الذي يوحي به لفظ المصدر في موقعه الدلالي المبرمج.

وكذلك الأمرُ في قوله هذا:

مات الحسينُ بأيدٍ في مغائظها طولٌ عليه وفي إشفاقها قِصرٌ

حيث لم يرِد أن يرى يدًا طويلة عليهم في الغيظ ، بل رأى طولًا في يد غائظة عليهم ، والفرق بينهما كبير. لأنه لو صاغ الكلام هكذا فقال «بأيدٍ في مغائظها طويلة عليه وفي إشفاقها قصيرة» لكان قد اكتفى بوصف الأيدي بالطول وعدم الإشفاق عندئذ فحسب! لكنه تنحى عن ذلك وعدّى مفعول الاستطالة إلى الظلم والغيظ فصاغ لهما مصدرا يتسم بالطول

والاستدامة على بغض آل البيت ، و كلّ ما قيل سابقا بشأن المصدر ودلالته التي تطال الزمان والمكان وتخترق قواعد التصريف الصيغي يتأتى للطول والإشفاق اللذين انجردا من حيلة التضييق بنعت الموصوف الذي هو يد الجارحة فانفردا بحريتهما في إطلاق معنى التطاول والسُّخط اللذين أصدرهما الأعداء ، ولهما من الإيحاء مثلُما كان للمصدرين السابقين من الإفرازات المعنوية الباتّة.

الأنساق التقابلية وفاعليتها في تقوية المغزى الدلالية

لا دَرَّ دَرُّ الأعادي عندما وتروا ودَرَّ دَرُّكِ ما تحوين يا حُفَرُ

وهذه عبارة لها من الإيقاع والإيحاء في هذا الموضع ما لا يقع تحت حصر ، حيث إنه استعان بجملة شهيرة من أمثال وكنايات العرب التي يضرب بها مثلا لكل من أريد ذمُّه وانقطاع الخير عنه في سياق النفي ، وأما في سياق الإثبات فمعناه دُرور الخير ووفور النعم وإغداق الخير على المدعوّ له. و «الدرّ فيها بمعنى اللبن ، ويقال في الذم لا درّ درُّه ، والدر في الأصل ما ينزل من الضرع من اللبن ومن الغيم من المطر ، ومعنى قولهم لله درّه ههنا كناية عن فعل الممدوح الصادر عنه [والنفي بخلافه] ، حيث نسب فعله إلى الله تعالى قصدا للتعجب ، لأنه منشئ العجائب ، و كلّ شيء يريدون منه التعجب ينسبونه إلى الله تعالى» (الدماميني ، ٢٠١٢م: ٩٦)؛ وأصله «أنّ رجلا رأى آخر يحلب إبلا فتعجب من كثرة لبنها فقال لله درُّك! وإذا ذُمَّ عملُ أحدٍ قيل لا درّ درُّه» (الجاحظ ، ٢٠١٣م: ٩٠).

وما سرُّ هذا التعبير الكنائي الذي جاء به عبد السلام ، وذلك في صيغةٍ تناقضيةٍ لافتة حيث طابق بينه وبين الوجه الإيجابي منه في االشطر الثاني وبهذه الميزة البلاغية زاد المعنى إيحاءً ورسوخا في ذهن المتلقي ، والطباق ههنا هو طباق السلب ، وهو «الجمع بين فعلَي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي» (الصعيدي ، ١٩٩٩م ، ج١: ٧). فزاوج الشاعر بين أمرين ههنا مثبتٍ ومنفي ، وأثبت للثاني ما نفاه عن الأول في أول وهلةٍ ، وفي ظني أنه أراد أن يشركهما في صفة واحدةٍ أولا ، ثم يصف الثاني بما انتزعه من الأول تبكيتا له ، وفي هذا زيادةُ قوةٍ في البلاغية ، ولاسيما وأنها اقترنت بسياق التضاد الذي تحدثنا عنه. فإذا كانوا هم الشر المطلق وجفت عندهم موارد الخير ، فالطبقة الثانية –وهم سادة أهل البيت (ع)– يتحلّون بأعلى أمارات هذا الخير بل هم درجات الخير ومدارات شرفه.

ولا ننسى أن تقابل اللفظين «قد يكون حقيقيا أو اعتباريا ، كتقابل الحدوث والقدم وتقابل الإحياء والإماتة ، وسواء أكان تقابل التضاد أم تقابل غيره كتقابل العمى والبصر .. وقد ذكر التنوخي أن المطابقة إنما تحسن ما لم تكثر فتسمج» (المصدر السابق: ٤) ، وواضح أن الشاعر أراد أن يذكر ضربين من التضاد ههنا أحدهما اعتباري زائف والآخر حقيقي ثابت ، فطابق بين لفظين متشابهين على وجه الوجود والعدمية ، وكأنه رأي في ميدان الشانئين حقدا ونفورا وأرضا يبابًا من سُخط وازدراء فاتخذ بذلك فعلهم اعتباريا زائلا ، ورأى في مشاهد أهل البيت عزّا وشرفا وعطاءً مستديمًا فنصّ بقوله هذا على حقيقة أمرهم المتعالية التي لا يعروها زيغٌ ولا اغترار. وفي ترجيح آخر لبيان جمالية هذا القول نتصور للبيت كفّتين ترجح إحداهما وتشول الأخرى ، وبديهي أن العلاقة بين كفّتَي الميزان هي علاقة متعاكسة ، فكلما كثر خبثُ هؤلاء الجبابرة الحاقدين زاد خير أولئك السادة المُكرمين ، وفي جملة واحدة أنّ السادة الميامين مهما ثقلت موازينهم في المكرمات والأمجاد خفّت موازين الجبابرة الطغاة من حيث اللامنطقية والزيغ والفساد ، وأنّ تراكم الخبث عندهم يساوي زيادة العلوّ عند أصحاب الخير.

تكافؤ الأركان في التراكيب الاسمية وإيحاءاتها

إن التركيب الاسمي الذي تتكافأ أركانه من حيث المقوّمات الإسنادية هو من ضمن التراكيب التي توحي بضروب مستجدّة من المعنى الذي يقصر عن تأديته الأنماط المألوفة للكلام الاسمي الذي تتضارب أركانه ، بحيث إن التسوية بين الجزئين الابتدائي والخبري في السياق الاسمي تسويةً كاملة يؤدّي إلى خلق استفسارات دلالية حاسمة في ذهن المتلقي بما يحمله على التفكير في جوانب هذه المماثلة اللغوية الموحية للكشف عن أسرار هذه المبادرة التأويلية ، فيقول في أحد أبياته:

الحوضُ حوضُهُمُ والجدُّ جَدُّهُمُ وعند ربهم في خلقه غِيرُ

وفي هذا البيت تركيب رصين يتكون في جملةٍ متركّبةٍ من مبتدأ وخبر مماثل له تماما ، حيث قال الحوض حوضهم والجد جدهم ، وهذا ما نراه مثيله عند أبي النجم العجلي في قوله «أنا أبو النجم وشعري شعري» ،ويدل بذلك على كمال شعره وتمام معناه بما يمتاز به هو دون غِره مؤكدا على فرادة قوله في ميزان الشعر. و «الشعر الثاني خبر للأول لا تأكيد له لتضمنه لوصفه بالكمال واشتهاره به ، حتى يتبادر إلى ذلك الكمال والاشتهار ، فالمراد بالشعر الأول هو الذات لا وصف الكمال ، والثاني خبر والمراد به وصف الكمال والاشتهار ، كأنه قيل شعري الموصوف بالكمال ومشهور به» (القونوي ، ٢٠٠١م: ٣٩١). فهذا هو الحمصي الذي يريد الكمال لمدوحيه ولا يسجّل لهم إلا ما هم اتصفوا به من ملكية الحوض الهنيئ وامتازوا به من شموخٍ لدى آبائهم. فلا حوض إلا حوضهم ولا جد إلا ما تحدّروا منه من آباء بما حازوا من مدارج الشرف الرفيع.

والطريف أنّ جزأي الجملة ههنا يستويان في درجة التعريف فكل منهما يصلح أن يكون مبتدأً أو خبرا ، من حيث إنه «لا داعي لتقديم الخبر على المبتدأ في مثل هذه المواضع وأي منهما قُدِّم كان مبتدأً» (ابنيعيش ، د.ت: ٩٨) ، والدليل الثاني الذي نحتّم به كونَ الأول في مثل هذا التركيب مبتدأً هو جواز دخول الناسخ على الأول دون الثاني ، فـ «"إنّ" كما هو معلوم يليها المبتدأ فتنصبه ، ولا يجوز أن يليها الخبر» (السائحي ، ٢٠٢٢م: ٤٠). فالأول المقرون بـ «ال» العهدية هو المبتدأ والثاني المقرون بضميره هو الخبر ، والكفتان في مثل هذا التركيب متكافئتان من حيث الاتساق التركيبي والإيحاءات المرتبية ، فالمبتدأ على درجة الخبر من حيث الرفعة والخبر في ميزان المبتدأ شرافةً وكلاهما واحد. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿والسابقون السابقون﴾ (الواقعة: ١٠)؛ حيث قدره بعض المفسرين من هذا الباب وجعلوا فيها السابقون الثاني خبرا عن الأول ، بمعنى «والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم ، كقوله عبد الله عبد الله» (الزمخشري ، ١٩٩٨م ، ج٦: ٢٣-٢٢). وهذا يدلّ على استيفاء درجات الكمال وإتمام مراتبه عند الموصوفين ، وفي ظني أن هذه العبارة تحوي حصرًا لطيفا غير محسوس ، من حيث إسناد الشيء إلى ذاته بما ينحصر به في صفته عند المرتبتين الابتدائية والخبرية ، وكون المبتدأ والخبر معرفةً يقوّي مثل هذا الظن الانحصاري. وما من شكٍّ أن هذه العبارة بمثل هذا النمط التأليفي يوحي بما يقصر عن تأديته الأدوات الأخرى من الأساليب المألوفة التي يعهدها الذهن. فلو وضعنا مكان هذه العبارة جملة "الحوض لهم أو يكون لهم والجد منهم أو فيهم" مثلا ، لزال رونق العبارة وفقدتْ شيئا كثيرا من دقتها وإتقانها في الدلالة على تشخيص المعنى الكمالي المترابط الذي أزمعها الشاعر.

الإيحاء الصوتي عن طريق إعمال الوظائف الصوتية للضمة

لا شكّ أنّ للصوت تأثيرا بالغا في توثيق الكلام وتصويره في ذهن المتلقي تصويرا تناغميا ثابتا ، وإن لكل صوت دلالة تتميز بها عن نظيره الصوتي من حيث إسهامه في بلورة المعنى وتنسيق مشاهده ، «لأن الحركات ذات وظيفة استبدالية في الكلام وتُحدِث تغييرًا في الدلالة ، وعدّ فيرث الحركات العربية من قبيل البروسودات (prosodies) أي المظاهر التطريزية التي تُصاحب الكلام المنطوق» (عكاشة ، ٢٠١١م: ١٩-١٨). فإن المتأمل في قصيدة الحمصي تأملًا صوائتيا ليجد أن كمية كبيرة من أصوات الضمة متناثرة في أرجاء القصيدة وقد طرّز بها الشاعر حديثه ، فإن القصيدة تحوي ٩١ صوتا مضموما ما بين كلمات معربة أو مبنية ، فإن فيها ٦٩ لفظة معربة اسما كانت أو فعلا مرفوعا بالضمة ، وفيها لفظتان مبنيتان على الضم ، إلى جانب ٢٠ صوتًا مضمومًا أُشبِعتْ فنتجت عنها الواو فتضاعفتْ بها جلجلة الضمّ. هذا وإنّ في القصيدة -فضلًا عن كلّ هذه المسموعات الضمّية ٥٣ حركة ضمة أخرى تناثرت في تضاعيف الكلام ليبلغ إجمالي الضمات الواردة في قصيدته إلى ١٤٤ صوتًا للواو ، وهذا حقًّا يأخذ من الإنسان طاقةً كبيرة حتى يقرأها بتمامها في موقف قرائي واحد ، وسوف يأتي الكلام عليها لاحقا.

فيبدو أن كلّ هذه الضمّات والأصوات المتعالية الناتجة عنها ليست هي إلا للدلالة على النغم العلوي الحزين الذي ينشُدُه الحمصي في نشيده الثوري ، لأن الضمة علامة الرفع والرفع هو الارتفاع والسمو والمناط المتعالي ، و «إن الكلمة تتعرض لقوةٍ خارجية بدلالة الضمة» (السليم ، ٢٠٢٠م: ١١٧). فالنظام النحوي للجملة والنسيج الشعري يجب أن يكونا في تضافرٍ وتفاعلٍ تنموي معا حتى يكتمل البناء المفاهيمي للصورة عن طريق المكونات الصوتية المستخدمة فيها ، إذ إنّ «تآزُرَ النظام النحوي

مع النسج الشعري يقدّم للقافية ذات الروي المضموم -والضمة هنا قيمة صوتية فحسب- كلمات مرفوعة بالضمة لأنها تشغل وظائف نحوية حالتها الرفع بالضمة» (تركي، ٢٠١٠م: ١٣٠). فصاغ الحمصي كلامه صياغةً اقتضتْ منه أن يكون معظم كلماته مرفوعة بالضمّ أو مجلوبًا لها الضمُّ عن طريق البناء العارض أو الإمالة أو الإشباع حتى تتكاثف الصوتيات المضمومة في مسامع المتلقين فيتواكبون معه في حمل أعباء هذه الرزية التي يقوم بتصويرها الحمصي.

هذا وإننا نعلم أن لصوت الضمة صعوبةً في النطق بالنسبة إلى نظيرتيها الفتحة والكسرة ، فصوت الضمة «من أكثر أصوات الحركات (Vowels) صعوبةً ، ويعود ذلك إلى أن النطق بالضمة «u» ومثلها الواو «w» يحتاج في أثناء عملية النطق به إلى مخرجين اثنين «Two Points of Articulation» معًا ، أحدهما رئيسي (Primary) وهو الطبق (Velum) ، والآخرُ ثانوي (Secondary) وهو الشفتان ، أو بعبارة أدقّ استدارة الشفتين» (النوري ، ٢٠٢٢م: ٢٧) ؛ فَلِمَ اختار الحمصي كلّ هذه المشقات الصوتية وجلبها لنفسه؟! وكيف ارتضى لنفسه أن يجهّزها لصرف طاقة عضلية كبيرة وخضع لممارسة نطقية مُجهِدة أثناء إنشاده للقصيدة؟! اللهم إلا أن يكون قد عرف خطورة الموقف وأدرك فجاعة المقام فطوّع نفسه لهذه الدورة القرائية المستعصية حتى يجعل مخاطبيه في أجواء المأساة العميقة التي تجرّع غصّتها بالفعل.

دلالات المعنى النفسي عند الحمصي

لابد لنا قبل الحديث عن الدلالات التي حدثتْ بالفعل عند ديك الجن في مضمار التداوليات النفسية أن نشير إلى تصنيف رومن جاكوبسن لوظائف اللغة الست والتواصل اللغوي الذي يحصل عبره وهي «الوظيفة الانفعالية ، والندائية ، والمرجعية ، ووظيفة إقامة الاتصال ، وتعدّي اللغة ، وأخيرا الوظيفة الشعرية» (العتيبي ، ٢٠١٥م: ٨٨-٨٦) ، وهذه الوظائف برمّتها هي ضرورية للكشف عن الرسائل الشعرية المستجدّة ، فإذا أضفينا على هذه العناصر التواصلية صبغة نفسانية فقد تأخذ المسألة أهمية كبرى من حيث دلالتها على النظام التداولي المتضايف بين المعيارية اللغوية والنفسانية ، وعلى أساس ذلك فإننا نجد مفهوما مستجدّا آخر عند جاكوبسن وهو مفهوم «ماوراء اللغة أو لغة اللغة وهذة هي الشعرية عنده» (تاوريريت ، ٢٠٠٨م: ٤٢) ولعلها هي النفسانيات التي توحي بها الفئات اللغوية غير النفعيّة بغرض استكشاف تواراتها الخفية. ومن ضمن الأمثلة التي نوردها لاحقا نحاول الكشف عن مدى فاعليّة هذه الميزات الوظائفية الستّ في الدلالة على الجهات النفسية التي تُجسّدها الماورالغوية السرديّة عند الشاعر.

الاستفهام المكانيّ المبني على الكبت ودلالاته النفسية

نرى الشاعر يعتمد اعتمادا جازما على الأنماط الاستفهامية لتجسيد المعاني النفسية والتي كانت تبقى عنده طيّ الكتمان لولا مصادرة هذه الأساليب الاستفسارية بوصفها عنصرا فعالا من عناصر توضيح الكلام وتخصيب إفاداته ، فيقول:

أين الحسينُ وقتلى مِن بني حسنٍ وجعفرٍ وعقيلٍ غالهم غَمِرُ

نرى في هذا القِسم سؤالا واستفهاما عن الحسين الذبيح أين هو وما مكانه في تصورات الشاعر عندما يستغيثه ويطالب بعونه!؟ ولكن رأيا بسيطا في الشعر يفهِمُنا أنه لا يريد أن يسأل عن مكان الحسين أين هو لأنه واضح معلوم ، إذ إن جثمانه الشريف وأعظمه الزكية مدفونة بأرض الغاضرية والشاعر يدرك ذلك تماما ، وأما روحه فتسري في أكناف العالم كله وتتخلل النفوس والآفاق جميعا بما لا يستفسر به أحد ، وحزنه هو الذي يتقمّصه الشاعر بخلايا نفسه وجُزيئات تفكيره ، فما سرّ هذا السؤال؟ وفي ظني أن هذا لجوءٌ من الشعور إلى اللاشعور وسرٌّ يستفسر به عن كينونة الحسين التي تخترق الحدود والآفاق وكأنه أبهم عليه البُعد المكاني الذي تتجلى بذاتية الإمام فضلّ الطريق وجاء ليناشد الحسين بكل ما فقده جراء هذا الرُّزء الجليل من شعورٍ وبصائر. وهكذا يبدو أنه لا حيلةَ له إلا أن ينشد الحسين كضالةٍ افتقدها في مرايا أفكاره المنجرحة. وجلي أن يفعل هذا الفرار لينجو بنفسه من ثقل الأوزار إلى اكتساب قدر من الراحة النفسية التي ضاعت عنه ، وإلا فالذي يعرف مكان الفقيد فيستفسر عنه إما أن يكون متخبطا أو مجنونا أو فاقدا متجاهلا.

وأظن هذا يرتبط بقضية «الكَبت» (Repression) عند أصحاب المدرسة الفرويدية حيث يحاول فيها الفرد تغييب المعالم المؤذية في واقعه المعاش إلى خبيئات تفكيره حتى لا يثقل كاهله تحت أوزار المصيبة ، وإنّ هذا الكبت يقتضي «إكراه

الذكريات على على التراجع من منطقة الشعور إلى اللاشعور بحيث تدفن هذه الذكريات بقصد نسيانها للتخلص من آلامها المريرة التي تسبب له مشاعر الضيق أو التوتر» (إنصورة ، ٢٠١٥م: ٣٠٧) ؛ إلا أن هذه الأمارات التبكيتية ما زالت باقية في مكنونات قلب الشاعر المتعلقة بالقضية بل إنه لا يبتغي نسيانها لأنها هي المصيبة التي يتخذ منها درجا إلى المكتسبات الروحية المتعالية ، فـ «هذه الدوافع [التي نقلها أو أخفاها الشاعر] لا تموت بانتقالها إلى اللاشعور ، بل تظل حية نشطة تعمل على ولوج منطقة الشعور مرة أخرى ، إلا أنّ قوى المقاومة والكبت تظل حائلًا بينها وبين أن تصبح شعورية. والأنا يقوم بعملية الكبت دون أن يشعر ، حيث الكبت يصبح تجاهلًا لاشعوريا للواقع» (طه ، ٢٠١٠م: ١٧٥) ؛ وهذا هو الذي يبتغيه شاعرنا بالفعل ، أن يعيش حالة من التأرجح والاضطراب المتغلغل بين أطباق المصيبة التي لاتكاد تفارق روحه ولا يكاد هو يفارقها لأنه يرى فيها رقيا لنفسه وشموخا حميمًا ، إلى أن يتأقلم مع الظروف الكارثية التي ألّمت به فيجد الراحة والسكينة في غضون هذه المرحلة الانتقالية. وسرّ هذا الاستفهام عن الحسين وبني الحسن وجعفر وعقيل -بتكثير أسماء الأعلام- هو الحصول على مهربٍ أو منجاةٍ من ربقة هذه الداهية التي نزلت به عن طريق الاستمداد من أصحاب المصيبة ، والواقع أنه يلجأ منهم إليهم ولا مفرّ له من رُزئهم إلا إليهم ، وإلا فلا يسأل ولا يكثرّ العدد بذكر الأسماء ولا يستعين بالمكان المحدود الذي لا يوفر له قيمةً نفسانيةً ملحوظة حتى يستريح في ظلها ، لأن الحسين إذا لم يتحدد بالمكان فليس من شأن المكان أن يخفف من شدة الواقعة بل يزيد من ذلك بالضرورة ، فهذا هو الاستفهام الذي يريده الشاعر ولا يريده! وهذه في الحقيقة حيلةٌ دفاعيةٌ أطلق عليها فرويد عنوان الكبت فيما سبق ، أو «الصراع بين الشخصية الإنسانية المتمثلة بثلاث بناءات هي «الهو» وهو الجزء البدائي من الشخصية ، و «الأنا» و «الأنا الأعلى» وهو الضمير الأخلاقي المركز في وجدا كلّ أحد ، وهو حصيلةُ ما يمتصه الفرد من ممنوعات ومحظورات» (السامرائي وأميمن ، ٢٠١١م: ٥٣) ، ومازال الشاعر يرواح الخُطى بين جنبات هذه الممنوعات والمحظورات.

التكوين العكسي للمعنى النفسي من خلال اعتماد بنية كنائية/تصريحية متعارضة

مالي فراغ إلى عثمان أندبه ولا شجاني أبو بكر ولا عُمرُ
لكم عدي وتيمٌ بل أزيدكمُ أميةٌ ولنا الأعلام والغُررُ

والمسألة البنائية التي تستلفت أنظارنا في هذه المساحة التعبيرية من حيث نفسانيات الشاعر ودلالاتها المنسبكة في قوالب الشعر هي التصريح بأسماء الطغاة الغاصبين لحقوق أهل البيت واحدا تلو الآخر وإخفاء أسماء أهل البيت في وجه كنائي والاكتفاء بذكر الأعلام والغرر. وكيف فعل هذا الشاعر؟ بمعنى أنه لِمَ لم يصرّح بأسماء الممدوحين كما صرّح بأسماء المبغوضين؟ والجواب -فيما يبدو لنا- يكمن في نظرة الشاعر تجاه كلّ من هاتين الطائفتين ، إذ يرى في الطائفة الثانية من الشأن وعظم المكانة ما لا يبيح له أن يذكر أسماءهم في الكفة التي تقابلها أسماءُ الممقوتين عنده ، فكأنه لم يرِد أن يعادل بين أسماء هؤلاء وهؤلاء حتى لا تقتضي تلك المعادلةُ التسويةَ بين أسمائهم جميعا وهذه هي النقطة التي يتجنبها الشاعر ولا يسيغها! وفي تبرير هذه المبادرة التعبيرية من قِبل ديك الجن مسألتان بلاغية ونفسانية ، وأما البلاغية فهي «أن الكناية عن المعنى والتعريض به أجمل وأبلغ من التصريح أو الإفصاح عنه ، وأن القيمة الدلالية للتعبير الكنائي ههنا تكمن في قضيتين: أولاهما في المعنى الظاهر الذي هو الدليل على وجود الثاني والطريق إلى كشفه ، والثانية هو المعنى الخفي (معنى المعنى) وهو المقصود ، وهذا الطريق تكمن له قيمة في إغناء النصوص الشعرية» (خضر محمد ، ٢٠١٨م: ٤٠٢) ؛ فالشاعر أراد أن يتستر على أسماء هؤلاء الكرام احتفاظا بشرف أسمائهم التي لا يريد أن يشوبها بشائبة في مقابل أسماء أولئك ، فأظهر أسماءهم جميعا وكنى عن أسماء أهل البين بالأعلام والغرر واكتفى بذلك ليميل الذهن إلى ما هو يريده أو يتخيله من أعلام هؤلاء ويخلق صورتها في ذهن متلقيه على سبيل التعبير الاستبدالي المتخيل.

وأما المسألة النفسانية التي يمتّ إليها هذا النمط التعبيري بصلة وثيقة (ما بين بيان كنائي وآخرَ تصريحي) فهي ما يرجع إلى مقولة «التكوين العكسي=Reaction – Formation» عند علماء النفس ، والمقصود بها هو «تكوين سمة شخصية مضادّة لدافع أو ميل غير مرغوب فيه يوجد دفينا في الشخص ، بحيث يطرأ تغيير جوهري على هذا الدافع أو الميل بقلبه

إلى الضد تمامًا في شعور الشخص إمعانًا في قهره ، وفي هذه الحالة يكون شعور الشخص مضادًّا لما هو موجود بلاشعوره» (طه ، ٢٠١٠م: ١٧٩). فالحمصي لا يرغب في أن يصرّح بأسماء ممدوحيه فيضعها في مقابل الأشخاص المُؤَنَّبين الذين باح بعناوينهم ، ولذلك يقفز قفزةً تعبيرية من الإعلان إلى الإسرار وذلك نظرًا لاعتبارات نفسه التي تحمل ميولًا متعاكسة تجاه كلّ من الفريقين اللذين أورد ذكرهما في بيتيه هذين.

ولو نظرنا إلي بيتين آخرين له في نهايات القصيدة حيث يقول:

أليس قام رسول الله يخطبهم وقال مولاكمُ ذا أيها البشرُ
أضبعَ غيرَ علي كان رافعَهُ محمدُ الخير أم لا تحقل الحُمُرُ

لوجدناه فعل نفس الفعلة ولكن بصورة متعاكسة ، حيث صرّح ههنا بأسماء محمد وعلي ولم يسُغ له أن يأتي في مقابلها بأسماء أعمدة الطغيان فعبّر عنهم بالحُمُر! وهذه براعةٌ في التعبير عن اللامساس بوجه لطيف ، واللامساس حيثما يعرّفه علي زوبين هو «تجنّب المتكلم ذكرَ ألفاظ وعبارات لأسباب دينية واجتماعية ونفسية ، لِما تتصف به هذه العبارات من إثارة حساسية ومشاعر المخاطبين ، ومعنى يثير حفيظة المخاطب ، أو أنه ينبو في الأسماء ذكره أو يستحيي من ذكره أمام المخاطب» (الكنيبص ،٢٠١٨م: ١٥)؛ فالشاعر لا يريد قطعا أن يذكر في هذه المنصة الشعرية أسماء الأعداء نظرا لما يثيره في دواخله من شجنٍ أو أسفٍ أو حالة نفسية غير مرغوبة فكنّى عنهم بقوله "الحمر" حتى تهدأ فورته تجاه ما ارتكبوا من ظلمٍ وعصيان. لأن المحظور أو اللامساس أو التابو (taboo) قد يكون في إنسان أو كلمة أو شيء آخر كما يقول ستيفن أولمان «ويكون في كل ما هو مقدس أو ملعون ويحرم لمسه أو الاقتراب منه لأسباب خفية» (أولمان ، ١٩٨٨م: ١٧٤). فهو بذلك عدّهم من اللامساس وعدل عن أسمائهم إلى لفظة الحمار ليقول إنهم من اللامساس وإنّ لفظ الحمار أرقّ من أسمائهم تعبيرا وليس في لفظ الحمير من المحظور ما في أعلامهم من معاني الحظر!

والغاية التي نتلمسها في مثل هذه المبادرة هي أن الشاعر -على أي وجهٍ- لا يريد إقامة أي مقارنةٍ متكافئةٍ بين مدلولات أسماء هذين الفريقين ، إذ إنه حيثما ذكر أسماء الملاعين صراحةً عزف عن البوح بأسماء الميامين ، وحيثما أورد أسماء أهل البيت لم يتسنَّ له أن يقابلها بما للكفرة من أسماء فأخفاها في ذلك الموقف إخفاءً ، والمهمّ هو أنه يترك هذه المقابلة التسموية كلّيا ، ويناقض بين الدورة التقابلية التي ترد في شعره فتقتضي أن يلجأ الشاعر إلى التصريح إزاء التصريح. وهنا تكمن أهمية مشاعر الشاعر وأحاسيسه المتراكبة التي لا تُجيز له أن يصرف من قداسة ما اتسم به أولياؤه إزاء الخبث الذي يشوب البيت بألوانه أحيانًا ، و كلّ هذا ينشأ مما يشعر به هو من حُبٍّ وحفيظة تجاه الفريقين ، ولا حيلة له إلا أن يعمل على هذه الروية للتوفيق بين حالتيه النفسانيتين المتعارضتين.

ابتناء مسار العزلة كأداة فعالة لمكافحة الأعراض النفسية

في كلّ يومٍ لقلبي من تذكرهم تغريبةٌ ولدمعي منهم سفرٌ

وفي هذا البيت كلمةٌ مصحوبةٌ بتاء الوحدة أو الإفراد وهي لفظة "تغريبة" حيث لم يأتِ الشاعر فيها بزنتها الأصلية التي هي من باب التفعيل فألحق بها تاء الإفراد ليدلّ بذلك على مسألتين: الأولى أنه بمعونة تاء الإفراد يريد أن ينصّ على وحدته وأنه متفرّدٌ بصبابته وكآبته بعد هذا الفقد الذي أصيب به ، ولا يرى نفسه إلا وحيدا مستوحشاً في وادي الغربة بعد رحيل هؤلاء ، وهذه دلالة نستقيها من التاء باعتبار كونها للإفراد وهو معنى جميل. إضافةً إلى ذلك لا يبعد أن يكون التنوين الذي لحق التاء للتنويع أي النوعية «كما في قوله تعالى ﴿وأمطرنا عليهم حجارةً﴾ أي نوعًا غريبا من الحجارة لا يتعارفه أحد» (القونوي ، ٢٠٠١م ، ج٨: ٤٣٨) ، فلا بدعَ ولا عجبَ أن يكون هذا التغريب الذي عند الحمصي من نوع التغريبات العجائبية التي لا يعهدها أحد بل لا يكاد يحتملها أحد. هذا وإننا لو قدّرنا فيه التوين للتعظيم والتهويل لزاد الأمر خطورةً بخطورة هذه الغربة التي يتفرد بها الشاعر فيتحدث عنها بصيغة الإفراد والتنكير. وعجيبٌ أنّ هذا هو المصدر الوحيد الذي استعمله الشاعر مقرونا بتاء الوحدة من بين جميع مصادره ، وهذا يدلّ على أن الشعور بالغربة التي يتحسسها الشاعر بعد رحيل آل البيت هي أعظم مصيبة يقاسيها في أطوار حياته النفسية. وأعجب من ذلك أن كلّ أفعال البكاء

والحنين والأسى والتلظي التي استخدمتْ في غضون القصيدة -وهي ١٤ فعلا- كلها جاءت مضارعات، وهذا النمط التوظيفي المضارعي في استخدام الأفعال الحساسة في القصيدة يدلّ على إلمام الشاعر بما وعاه قلبه من أمارات الحزن المستديم الذي سبّب له انشطار قلبه، و «الفعل المضارع يدلّ على حدثٍ يقع في الحال ويستمرّ وقوعه في الاستقبال، فهو يدلّ على الحدوث والتجدد [معًا]» (المفتي وآخرون، ٢٠١٢م: ١٢٨). وهذا يدلّ على أن نفسيته دائما متأثرة بإملاءات هذا الشجن المستفيض ويتولّد عنده غمٌّ مِن بعدِ غمّ.

وأما النوعية فهي الوجه الغالب على دلالات هذه اللفظة إذ إنّ نفسية الشاعر هي نفسية متقلبة وحالاته هي حالات مذبذبة لا تستقرّ بقرار، فمن أجمل ما يمكن أن ينتقى للدلالة على هذه الحالة المتحوّلة هي اختيار صيغة الإفراد والتنويع بتوظيف آلياتهما الصرفية في بنائه حتى يتمثل مشهد الغربة والغرابة والاستيحاش أمام ناظريه بأوفى صورة ممكنة. فالتاء هي تاء الوحدة والموقف هو موقف الوحدة والانعزال الذي انكمش في زاويته الشاعر وقد يترك أثرا سلبيا حتى على حنينه لِما يصبو إليه، فهي «انفعال مستمرّ يتمّ تعريفه في ضوء الأفكار أو المشاعر السلبية، على سبيل المثال التشاؤم والتعاسة ولوم الذات والاكتئاب، وقد يؤدي الشعور بالوحدة -وهي حالة مزاجية منفردة- إلى التقليل من السلوك الاجتماعي أو المساندة الاجتماعية المدركة مثلا (perceptions of social support)» (جونسون وآخرون، ٢٠٢٢م: ٢٨٦) ؛ وهذا الشعور يؤدي إلى أن يجعل الفرد نفسه بمعزل عن الآخرين وأن يجعل بينه وبينهم حاجزا منيعا لأن الذين فقدهم كانوا يحلّون محلّ جميع آفراد البشر في قلبه ولايكاد أحد غيرهم يستطيع بسلطانه أن يتغلب على قهره فيفتح نافذة أملٍ في أبواب نفسه المغلقة، ويبدو أن هذا العزل ضروري لنفسه لأن الاتصال بغير هؤلاء المفقودين المضطهدين قد يزيد من توتّره واكتئابه ويترك في نفسه أثرا أعمق. وتؤكد هورني «أنّ شعور الفرد بالوحدة والعزلة ينمو بشكل خفي، يتزايد وينتشر في عالم عدائي، وإن هذا الشعور يكون نتيجة لعوامل متعددة نجدها في البيئة المحيطة» (الطائي، ٢٠١٣م: ٧٢)؛ فالبيئة والأجواء التي يعيشها الحمصي هي بيئة اغتراب واكتئاب ومحطات يأس وافتراق، وهو في سجالٍ وموقف عدائي دائب مع من ارتكبوا هذه الجرائم بحق أحفاد الرسول وتنمو هذه الضغينة في قلبه بسرعة فائقة حتى تحمله على الثورة والانتقام على الرغم من هذه العزلة والوحشة. فهي عزلة مؤقتة في نقطتها الابتدائية وهي سوف تتحول إلى غيوم داكنة تجرف بسيولها بنيان الزيغ والاضطهاد.

وتعتقد كذلك هورني أنّ هناك ثلاث وسائل لحماية النفس أثناء الشعور بهذه الغربة وإن كلا من هذه الوسائل تسوق المرء إلى نوع خاص من السلوك وهي «التحرك نحو الناس (النوع الموائم)، والتحرك نحو الناس (النوع العدائي)، والتحرك بعيدا عن الناس (النوع الانعزالي) فيكون المرء في هذه الحالة الأخيرة مسافة عاطفية تبعده عن الآخرين» (المصدر الاسبق: ٧٢)؛ ويبدو أنّ الحمصي في تغريبته هذه مرّت بكل هذه المراحل وقد قضى كلّ هذه الطبقات الثلاث، فيكون له موقف بدائي في بوادر نهضته النفسية -وهي مرحلة الانعزال-، ثم يتحرك نحو الناس الجائرين في نوع موائم، فيتحرك ضدّهم ببيانٍ ثوري حاسم لا يبقي ولا يذر من أعقابهم شيئا. فواضح أنّ انعزال الحمصي هنا ليس انعزالا انفعاليا، بل هو انعزالٌ مغبّته الانتقام، وهو خطوة أولى يخطوها الشاعرحتى يجد الفرصة ملائمة للتحرك ضد المناوئين ويبادر للخروج عليهم، كما يصرح بذلك في قوله:

كفى بأن أناة الله واقعةٌ يومًا ولله في هذا الورى نظرُ

ويقول في آخر قصيدته:

الحقُّ أبلجُ والأعلام واضحةٌ لو آمنت أنفس الشانين أو نظروا

فيتوعّدهم بما سيكون لهم بالمرصاد في عاقبة أمرهم ولا يسكت عن ذلك سكوتا بل يتربّص بهم الدوائر حتى يرجعوا عن غيهم أو ينقلبوا خائبين. وإن كان الشاعر يعلم علم اليقين أنهم لا يكفّون عن أذاهم ولذلك استعمل لهم أداة شرط الامتناع وهي «لو» التي تفيد الاستحالة وعدم إمكانية ظهور معالم الصلاح لديهم، ولكنه يبشرهم بمغبّة سوداءَ سوف تلحقهم. وهكذا شأن كلّ مؤمن شيعي في عهدنا الراهن حتى لا يبقى ساكتا ولا يكون مكبوتا ولا متهاونًا أمام الظلم الذي يمارَس في العالم فيقوم ثائرا موقنا بالنصر الذي هو من عند الله قريب.

النتائج

رأينا ما رأينا من الأبعاد الدلالية والإيحاءات النفسية عند الشاعر الحمصي فهدتْنا إجمالًا إلى المواضيع الاستنتاجية التالية:

١- إن الحمصي لمّا كان شاعرا شيعيا متعصبا أبدى ملامح هذه النزعة في شعره الرثائي فجعل منه رسالةً ثورية تنبض بروح الحماسة والانتقام ، وبذلك يرسم خطوطا مقاوميةً تضيء الدرب لكلّ من أراد الولوج في هذا المسرب النضالي وعزم على ابتناء الحركة الولائية.

٢- إن الشاعر استعان بما توفّر عنده من إمكانيات اللغة والصرف والإيقاع والجهات التداولية التي أتاحتْها له الظروف المأساوية التي عاشها بالفعل جراء مواكبته للرزء الذي يتحدث عنه في تضاعيف قصيدته طورا فطورا ، فاستمدّ من التنوين والتنكير دلالتهما وتزوّد بزاد الموسيقى الصوائتية ووظّف عنده الطاقات الاستبدالية اللغوية والتركيبية وعمد أحيانا إلى المساقات الإيجازية وابتنى بعض التراكيب الاسمية المتكافئة فافتنَّ في استخدامها استخداما تحويليا حاسما واستوحى منها ما صوّره للمخاطب مشهدا ديناميكيا يتطابق مع الواقع المرير الذي يقوم برصد ملامحه.

٣- وفي القسم النفساني وما أفرزَتْهُ التراكيبُ عنده من معان نفسية فرأيناه منعزلا حينا في زوايا حزنه العنيف ، لكن كان هذا انعزالا ابتدائيا فانطلق منه إلى الجهة الاستفزازية التي تتخذ من العزلة منصة للتأهّب والتجهيز ، فتحولت عزلته إلى ثورةٍ وانتقام والتصدي لما يجابهه من قوى طاغية استولت عليه ، فمرّ بطبقات ثلاث في مساره الانعزالي حين اتخذ العزلة قرارا أولا ، فصنع منها نهضةً ثم جعل من النهضة ثورةً تكتسح كلّ ما اعترض طريقه من معرقلات السير التطوري ، فكان منه نقلة لطيفة من منطقة الشعور إلى اللاشعور خلاصا من ربقة هذا الجرح الناغر.

٤- وأخيرا فإنّا لمسنا عنده استمراريةً للمآسي والأوجاع التي تَكبّدها جراء المصيبة التي حلّت به ، ولكنه استعان بأيسر الأنماط التعبيرية حتى يتمكن من التصدي لفداحة هذا الموقف. فكان لأساليب الدلالة المضارعية إسهام كبير في إطفاء حريق الانكسار عنده ، كما رحّب ببعض الدورات التقابلية المتعاكسة التي ظهرت بين طوائف من أسماء الممدوحين والمبغوضين ، إذ ترك التصريح باسم الطغاة فيما تيسّر له البوح بأسماء السادة الولاة ، وهلمّ جرا في سائر المكانيزمات اللغوية الإيحائية والنفسانية التي سخّرها في كلامه للدلالة على لُبّ المعاني في صورة أبهى وأجلّ.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن يعيش ، موفق الدين (د.ت). *شرح المفصل* ، الجزء الأول ، إدارة الطباعة المنيرية بمصر.

إنصورة ، نجاة عيسى حسين (٢٠١٥م). *أساسيات وأصول علم النفس* ، الطبعة الأولى ، القاهرة: دار كنوز للنشر.

أولمان ، ستيفن (١٩٨٨م). *دور الكلمة في اللغة* ، ترجمة كمال محمد بشر ، مصر: مكتبة الشباب.

بكور ، حسن فالح حسين (٢٠٠٧م). فاعلية الصورة في البناء الشعري عند ديك الجن الحمصي ، *مجلة كلية الآداب* ، جامعة الزقازيق ، مصر ، العدد ٤٣ ، ص ١١٤-٧٧.

تاوريريت ، بشير (٢٠٠٨م). الشعرية والحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية ، دمشق: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

تركي ، فايز صبحي عبد السلام (٢٠١٠م). *الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم والدلالة* ، بيروت: دار الكتب العلمية.

التميمي الشافعي ، محب الدين محمد بن يوسف (٢٠١٨م). *شرح التسهيل* ، تحقيق محمد العزازي ، الجزء الرابع ، بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٠١٣م). *رسائل الجاحظ* ، شرحه وعلّق عليه محمد باسل عيون السود ، الجزء الثالث ، بيروت: دار الكتب العلمية.

جونسون ، جوديث و م.وود ، أليكس و عبدالله ، أحمد عمرو (٢٠٢٢م). *مصنف وايلي في علم النفس الإيجابي الإكلينيكي* ، ترجمة أحمد عمرو عبدالله وأحمد صابر الشركسي وراقية جلال الدويك ، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

جيرو ، بيار (١٩٩٢م). *علم الدلالة* ، ترجمة منذر عياشي ، سورية: دار طلاس.

الحجي ، مظهر (١٤٠٦ق). ديوان ديك الجن الحمصي بين الضياع والتضييع ، *مجلة التراث العربي* ، العدد ٢٤ ، ص ٢٢٣-٢١٩.

الحجي ، مظهر (٢٠٠٤م). *ديوان ديك الجن* ، دمشق: من منشورات اتحاد الكُتّاب العرب.

خضر محمد ، عبد الله (٢٠١٨م). *الشعر الجاهلي في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة* ، الأردن-عمان: شركة دار الآكاديميون للنشر والتوزيع.

الدسوقي ، محمد بن أحمد (٢٠١١م). *حاشية الدسوقي على مختصر السعد* ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل ، الجزء الأول ، بيروت: دار الكتب العلمية.

الدماميني ، بدر الدين محمد بن أبي بكر (٢٠١٢م). *شرح الدماميني على مغني اللبيب* ، بتعليق تقي الدين الشُّمُنّي ، تحقيق محمد السيد عثمان ، الجزء الثاني ، بيروت: دار الكتب العلمية.

الرباع ، سامي (١٩٨٥م). *مجلة الفيصل* ، السنة ٩ ، العدد ١٠٣ ، ص ٢٩.

الزركشي ، بدرالدين محمد بن عبد الله (٢٠٠٦م). *البرهان في علوم القرآن* ، المحقق: أبو الفضل الدمياطي ، القاهرة: دار الحديث.

الزمخشري ، جار الله أبوالقاسم محمود بن عمر (١٩٩٨م). *تفسير الكشاف* ، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض ، الجزء السادس ، الطبعة الأولى ، الرياض: مكتبة العبيكان.

السامرائي ، نبيه صالح وأميمن ، عثمان علي (٢٠١١م). *مقدمة في علم النفس* ، عمان: دار زهران للنشر والتوزيع.

السائحي ، بشير بديار (٢٠٢٢م). *الجملة الاسمية ونواسخها* ، بيروت: دار الكتب العلمية.

سعيد حيدر ، حازم (١٤٢٠ق). *علوم القرآن بين البرهان والإتقان* ، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع.

السليم ، رياض (٢٠٢٠م). *الأسس المنطقية للغة العربية ، العربية لغة العقل والطبيعة* ، د.م.

الصعيدي ، عبد المتعال (١٩٩٩م). *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة* ، الجزء الأول ، القاهرة: مكتبة الآداب.

الطائي ، إيمان محمد (٢٠١٣م). *دراسات في سيكولوجية العزلة الوجدانية* ، مراجعة محمد السيد عبد الرحمن ، الأردن: دار الجنان للنشر والتوزيع.

الطراونة ، عبد الله (٢٠٠٩م). *مبادئ التوجيه والإرشاد التربوي* ، الطبعة الأولى ، عمان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

طه ، فرج عبد القاهر (٢٠١٠م). *أصول علم النفس الحديث* ، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

عبد الجليل ، منقور (٢٠٠١م). *علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي* ، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
عبد العبود ، جاسم محمد (٢٠٠٧م). *مصطلحات الدلالة العربية؛ دراسة في ضوء علم اللغة الحديث* ، بيروت: دار الكتب العلمية.
العتيبي ، فرات (٢٠١٥م). *مشكلات التواصل اللغوي* ، عمان: مركز الكتاب الآكاديمي.
عز الدين ، إسماعيل (١٩٦٦م). *الشعر العربي المعاصر* ، بيروت: دار الثقافة.
عكاشة ، محمود (٢٠١١م). *التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة* ، الطبعة الأولى ، القاهرة: دار النشر للجامعات.
فتلي ، حميد (٢٠٢٠م). *بحوث ودراسات في اللغة والنحو* ، عمان: مركز الكتاب الآكاديمي.
القونوي ، عصام الدين إسماعيل (٢٠٠١م). *حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي* ، ضبطه وصححه وخرّج آياته عبدالله محمود محمد عمر ، الجزء الثامن عشر ، الطبعة الأولى ، بيروت: دار الكتب العلمية.
الكنيبص ، ضياء حسن محمد (٢٠١٨م). *اللامساس في التعبير القرآني* ، سوريا: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع.
مختار عمر ، أحمد (١٩٩٨م). *علم الدلالة* ، الطبعة الخامسة ، القاهرة: عالم الكتب.
المفتي ، محمد مختار وآخرون (٢٠١٢م). *مدخل إلى علوم القرآن الكريم والسنة النبوية* ، الطبعة الأولى ، عمان: دار أمواج للنشر والتوزيع.
الملوحي ، عبد المعين ، و الدرويش ، محيي الدين (د.ت). *ديوان ديك الجن الحمصي* ، النجف الأشرف: مكتبة نرجس.
نهر ، عبد الهادي (٢٠٠٧م). *علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي* ، تقديم الأستاذ الدكتور علي الحمَد. الطبعة الأولى ، الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع.
النوري ، محمد جواد (٢٠٢٢م). *إضاءات قرآنية دراسة لغوية بيانية* ، بيروت: دار الكتب العلمية.

References

The Holy Quran
Ibn Yaish, Muwaffaq al-Din, Explanation of the detailed, Part One, The Muniriyah Printing Department in Egypt, n.d. [In Arabic]
Insoura, Najat Issa Hussein, Fundamentals and Origins of Psychology, first edition, Cairo: Dar Kunouz Publishing, 2015. [In Arabic]
Ullmann, Stephen, The Role of the Word in Language, Translated by Kamal Muhammad Bishr, Egypt: Youth Library, 1988. [In Arabic]
Bakour, Hassan Faleh Hussein, "The Effectiveness of the Image in the Poetic Construction of the Homsi Deek Al-Jinn", Journal of the Faculty of Arts, Zagazig University, Egypt, Issue 43, pp. 114-77, 2007. [In Arabic]
Turki, Fayez Sobhi Abd al-Salam, Syntax Elimination and its Relationship to Numismatics and Semantics, Beirut: Scientific Books House, 2010. [In Arabic]
Al-Tamimi Al-Shafi'i, Mohib Al-Din Muhammad Bin Youssef, Explanation of Facilitation, investigation by Muhammad Al-Azazi, Part Four, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 2018. [In Arabic]
Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr, The Letters of Al-Jahiz, explained and commented on by Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, Part Three, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 2013.[In Arabic]
Johnson, Judith and M. Wood, Alex and Abdallah, Ahmed Amr, Wiley's Workbook on Clinical Positive Psychology, translated by Ahmed Amr Abdallah, Ahmed Saber al-Sharkasi and Raqiyyah Jalal al-Dweik, Cairo: The Anglo Egyptian Library, 2022. [In Arabic]
Giroux, Pierre, Semantics, translated by Munther Ayachi, Syria: Dar Talas, 1992. [In Arabic]
Al-Hajji, Mazhar, "Divan Dik Al-Jin Al-Homsi between loss and loss", Arab Heritage Magazine, Issue 24, pp. 223-219, 1406. [In Arabic]
Al-Hajji, Mazhar, Diwan Deek Al-Jin, Damascus: Publications of the Arab Writers Union, 2004. [In Arabic]
Khader Muhammad, Abdullah, Pre-Islamic Poetry in Interpretation of Gharib Al-Qur'an by Ibn Qutaybah, Jordan-Amman: Dar Academics for Publishing and Distribution, 2018. [In Arabic]
Al-Dasouki, Muhammad bin Ahmed, Al-Dasouki's footnote to Mukhtar Al-Saad, investigation by Dr. Khalil Ibrahim Khalil, part one, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Alami, 2011. [In Arabic]
Al-Damamini, Badr al-Din Muhammad ibn Abi Bakr, Explanation of al-Damamini Ali Mughni al-Labib, with the commentary of Taqi al-Din al-Shamni, investigation by Muhammad al-Sayyid Othman, Part Two, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2012. [In Arabic]
Al-Rabaa, Sami, "Al-Faisal Magazine", Issue 103, p. 29, Year 9, 1985. [In Arabic]
Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad ibn Abdullah, Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an, the investigator Abu Al-Fadl Al-Damiati, Cairo: Dar Al-Hadith, 2006. [In Arabic]

Al-Zamakhshari, Jarallah Abu Al-Qasim Mahmoud Bin Omar, Interpretation of Al-Kashf, investigation, commentary and study by Sheikh Adel Ahmed Abdel-Mawgoud and Sheikh Ali Muhammad Moawad, Part Six, First Edition, Riyadh: Obeikan Library, 1998. [In Arabic]

Al-Samarrai, Nabih Saleh and Ameen, Othman Ali, Introduction to Psychology, Amman: Dar Zahran for Publishing and Distribution, 2011. [In Arabic]

Al-Sayhi, Bashir Bedyar, The Nominal Sentence and its Transcribers, Beirut: Scientific Books House, 2022. [In Arabic]

Saeed Haider, Hazem, The Sciences of the Qur'an between Proof and Mastery, Medina: Dar Al-Zaman Library for Publishing and Distribution, 1420. [In Arabic]

Al-Saleem, Riyad, The rational foundations of the Arabic language, Arabic is the language of reason and nature, Dr. M, 2020. [In Arabic]

Al-Saidi, Abdel-Motal, in order to clarify the key to summarizing the sciences of rhetoric, Part One, Cairo: Arts Library, 1999. [In Arabic]

Al-Taie, Iman Muhammad, Studies in the Psychology of Emotional Isolation, reviewed by Muhammad Al-Sayed Abdul Rahman, Jordan: Dar Al-Jinan for Publishing and Distribution, 2013. [In Arabic]

Tarawneh, Abdullah, Principles of Educational Guidance and Counseling, first edition, Amman: Dar Jaffa Scientific for Publishing and Distribution, 2009. [In Arabic]

Taha, Faraj Abdel-Qaher, The Origins of Modern Psychology, Cairo: Anglo Egyptian Bookshop, 2010. [In Arabic]

Abd al-Jalil, Manqour, Semantics, Its Origins and Discussions in the Arab Heritage, Damascus: Arab Writers Union Publications, 2001. [In Arabic]

Ezz El-Din, Ismail, Contemporary Arabic Poetry, Beirut: House of Culture, 1966.[In Arabic]

Okasha, Mahmoud, Linguistic Analysis in the Light of Semantics, first edition, Cairo: Universities Publishing House, 2011. [In Arabic]

Fitli, Hamid, Research and Studies in Language and Grammar, Amman: Academic Book Center, 2020. [In Arabic]

Al-Qunawi, Essam Al-Din Ismail, Al-Qunawi's footnote on the interpretation of Imam Al-Baydawi, compiled, corrected, and extracted its verses, Abdullah Mahmoud Muhammad Omar, Part Eighteen, First Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 2001. [In Arabic]

Al-Gunaibis, Diaa Hassan Muhammad, Al-Alamas in Quranic Expression, Syria: Dar Raslan for Printing, Publishing and Distribution, 2018. [In Arabic]

Mukhtar Omar, Ahmed, Semantics, fifth edition, Cairo: World of Books, 1998. [In Arabic]

Al-Mufti, Muhammad Mukhtar and others, Introduction to the Sciences of the Noble Qur'an and the Prophet's Sunnah, first edition, Amman: Dar Amwaj for Publishing and Distribution, 2012. [In Arabic]

Al-Malouhi, Abd Al-Mueen, and Al-Darwish, Muhyi Al-Din, Diwan Dek Al-Jin Al-Homsi, Al-Najaf Al-Ashraf: Narjis Library, n.d.[In Arabic]

Nahr, Abdel-Hadi, Applied Semantics in the Arab Heritage, presented by Prof. Dr. Ali Al-Hamad. First edition, Jordan: Dar Al-Amal for publication and distribution, 2007. [In Arabic]

Al-Nouri, Muhammad Jawad, Quranic Illuminations, a graphic linguistic study, Beirut: Scientific Book House, 2022. [In Arabic]